**محاضرات في النقد الجزائري الحديث السنة الثانية ليسانس دراسات نقدية**

**الأستاذ: بوسقطة**

**مدخل إلى الحركة النقدية بين التقليد و التجديد**

لقد ظهر النقد الجزائري الحديث متأخرا مثله في ذلك مثل الشعر، و قد كانت بدايته محتشمة غير ناضجة فقد تميّز بالسطحية لظروف عدة لعل أهمها البيئة التي لا تسمح ببروز حركة ثقافية، و قد أخذ في الظهور بموازاة بداية ظهور نهضة أدبية ذلك لكون الحركة النقدية مرتبطة بالحركة الأدبية، من هناك بدأ الأدب الجزائري يعرف نقلة نوعية بفضل نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و لاسيما صحافتها التي فتحت ذراعيها لاستقبال نصوص و مقالات نقدية متفاوتة القيمة، غير أنها كانت من أهم الأسباب و العوامل التي ساهمت في تطور الحركة الأدبية، فالدارس يلحظ العديد من المقالات لأدباء هم في الأصل أعضاء بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فمن المقالات الأولى مقال حول رواية: غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو التي علّق عليها حمزة بوكوشة بقوله: "غادة أم القرى هو الكتاب الذي أخرجه الكاتب المبدع أحمد رضا حوحو بأسلوب قصصي رائع أضاف فيه صفحة خالدة للادب الجزائري الحديث، صور فيه الحياة الحجازية تصويرا بديعا و هي تشارف حياة سكان الواحات بالجنوب الجزائري في كثير من العادات، قدم الكاتب إلى المرأة الجزائرية المحرومة من نعمة العلم و الحب و الحرية أجل إن المرأة الجزائرية محرومة من نعمة الحب، و الحب في طيات الضمائر.

و ليت شعري ما هي الحرية التي حرمت منها المرأة الجزائرية؟

هي الحرية التي حرم منها الرجل أم حرّية أخرى؟"

لقد ساهمت بيئات مختلفة (تونسية، مصريـــــة، مغربية) في بــــــــروز الأدب الجزائــــري و نهضته، فهذه النهضة كانت متأثرة بالمدرسة المشرقية، حيث يرى صالح خرفي أن الطليعة من الأدباء الجزائريين كانت متأثرة بأدباء المشرق العربي و بخاصة شعراء النهضة تقتفي آثارهم، و تنسج على منوالهم، و تقوم بتشطير أشهر قصائدهم، كما يؤكد بأن التأثر بتلك النهضة هي إعجاب المنتج لا إعجاب المتفرج، فقد تخطى هؤلاء الأدباء مرحلة التقليد أو رجع الصدى و استلهموا ذاتهم و أعطوا نفحة جديدة للأدب الجزائري.

تعد بداية القرن العشرين الانطلاقة النوعية للحركة الأدبية في الجزائر، يؤكد ذلك عبد الله الركيبي بقوله "بحلول القرن العشرين ظهرت اليقظة الفكرية، السياسية، الادبية، فيها ترسخت جذور الفكر العصري في البيئة الجزائرية مما جعل منها فترة تمتاز بالحركة و الدعوة إلى التطور و النهوض"

إن الحركة النقدية مرتبطة بالحركة الأدبية فهي مسايرة لما تسعى لإضاءة النصوص و الكشف عن الغث و السمين، و تتميّز الحركة النقدية في صورتها العامة بإصدار الأحكام حول الأعمال الأدبية فقد عالج نقدنا القديم العديد من القضايا اللغوية و الادبية منها: قضية الطبع و التطبع، قضية السرقات الأدبية، قضية اللفظ و المعنى و غيرها أما في عصر النهضة فقد عولجت قضايا متعددة مثل: الصراع بين القديم و الجديد، التأثير و الـتأثر، الذاتية و الموضوعية، وظيفة النقد.....

إن حركة النقدية في الجزائر عالجت هي بدورها العديد من القضايا مرتبطة براهننا تتمحور حول مفهوم الشعر و وظيفته، رسالة الأديب و الملاحظ أن معظم المحاولات النقدية "كانت تتسم في اكثر حالاتها بطريقة فردية لا تتبع اتجاها معينا و لا تنهج منهجا خاصا يتتميز بخصائص معينة تجعله يعبر عن الروح العلمية العامة" و لعل العيب لا يقع على الرواد بقدر ما يقع على انعدام الموروث الأدبي و توفر المناخ الملائم لهم و انعدام العمل الجماعي بخلاف البيئات العربية لاسيما مصر.

و هناك مؤثرات عدة أثرت في الأدب و النقد معا، و قد تداخلت هذه المؤثرات لكون النقاد و لاسيما التقليديون منهم كانوا نقادا و أدباء في نفس الوقت و تتمثل هذه المؤثرات في الثقافة المحلية، التراث و النهضة الأدبية العربية، و أغلب هذه المؤثرات هي مؤثرات محلية، و هي دينية بحكم المرجعية الثقافية لهؤلاء الأدباء الذين اتجهوا في البداية إلى تقليد نقاد المشرق التقليديين و أدبائه (الرافعي، المويلحي، شوقي) و في المقابل هاجموا الاتجاه الجديد في النقد (طه حسين).

لقد نظر هؤلاء إلى الشعر نظرة تقليدية من حديث عن الوزن و القافية و الاستعارات البليغة و المعاني الرقيقة فهو نقد لغوي يهتم باللغة و الأسلوب.

لقد أشاد هذا التيار بشعر الكفاح الوطني (شعر النضال) حيث كان الشعراء ينظرون إلى الشعر على أنه (إلهام و وحي) و من ثمة فنحن أمام شعر (مطبوع لا موضوع) غير أن البعض منهم قد اهتم بالصنعة لكونها عندهم "لا تعني التكلف في قرض الشعر إطلاقا و إنما تعني العناية به و بفنونه المختلفة"

إن المتأمل للمشهد النقدي في مراحله الأولى يلحظ بان التأثرية الانطباعية قد سادت تلك المرحلة فالغالب فالأحكام الصادرة تبتعد عن الموضوعية

يرى الأستاذ المرحوم شريبط أحمد شريبط بأن الحركة النقدية في الجزائر مرت بالمراحل التالية:

**1-المرحلة الأولى: 1900-1939:**

برزت فيها عدة أقلام (إعلامية، ثقافية، أدبية) منهم على سبيل المثال (محمد راسم، مبارك الميلي، عمر بن قدور، عبد الحميد بن باديس، محمد السعيد الزاهري، محمد الهادي السنوني الزاهري، أبو اليقظان)

لقد عمل هؤلاء على تقريب المعرفة بأنماطها المختلفة من دينية وأدبية و سياسية وتاريخية من القارئ و جعله يسهم في إثرائها كتابة و مناقشة و هذا عن طريق الصحافة التي لعبت دورا مهما في نشر الثقافة العربية الاسلامية

فهؤلاء الأدباء عملوا على تحصين الهوية الجزائرية و مد جسور بينهم و بين رواد الثقافة في المشرق، لقد توفرت مجموعة من العوامل لانطلاقة حركة أدبية واسعة، فعلى الرغم من المرجعية الدينية لأغلب أدباء تلك المرحلة نجد البعض يدعو إلى التجديد منهم رمضان حمود الذي تجرأ على نقد أحمد شوقي و هو يستعد للتتويج بإمارة الشعر و هو محق في العديد من طروحاته و هذا قبل أن يبتكر شوقي (المسرحية الشعرية).

أما المناهج السائدة آنذاك فهي (المنهج التاريخي، المنهج التأثري، المنهج الفني) و نظرا للظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري لم يتمكن أولئك الادباء من الاطلاع على المناهج الرائدة آنذاك و اكتفوا بما لديهم من نصوص مترجمة بخلاف رمضان حمود الذي انفتح على الآداب الأجنبية و التيارات العربية التجديدية مما جعله يتمرد على نمط القصيدة التقليدية بقوله:

أتوا بكلام لا يحرك سامعا\*\*\*عجوز له شطر و شطر هو الصدر

قد حشروا أجزاءة تحت خيمة\*\*\* كعظم رميم ناخر ضمه القبر

و زين بالوزن الذي صار مقفى\*\*\* بقافية للشط يقذفه البحر

**2-المرحلة الثانية: 1939-1956:**

شهدت هذه الحركة تذبذبا في الحركة الأدبية بسبب مصادرة بعض المجلات التي كانت أهم الوسائل المعتمدة في نشر النشاطات الثقافية، غير أن الحركة عرفت انتعاشا بعد بروز الكاتب أحمد رضا حوحو العائد من الحجاز، فقد أثرى الحركة بالعديد من المقالات و المؤلفات المختلفة و قد كان متأثرا بالنزعة الانسانية فقد تأثر برائعة فيكتور هوجو (البؤساء).

من أبرز هذا الجيل أو المرحلة (عبد المجيد الشافعي، عبد الرحمن منصور، عبد الرحمن شيبان و غيرهم).

**3-المرحلة الثالثة: 1956-1972:**

تميزت هذه المرحلة بتطور الأدب الجزائري و التعريف به، لاسيما جهود "أبو القاسم سعد الله" إضافة إلى "النقد الجامعي" الذي ساهم كثيرا في إخراج الأدب الجزائري من شرنقته فمن أهم الدراسات المتميزة خلال تلك الفترة الدراسة الرائدة لأبي القاسم سعد الله حول شعر محمد العيد آل خليفة و دراسة عبد الله الركيبي عن القصة الجزائرية القصيرة (1928-1962) و الشعر الديني الجزائري الحديث

و الشعر الجزائري الحديث لصالح خرفي:

لقد سيطر على هذه الدراسات المنهج التاريخي رغم أنه كان مسبوقا بمناهج عدة لم يلتفت إليها النقاد كالمنهج النفسي مثلا:

من أبرز نقاد تلك المرحلة (محمد مصايف، عبد المالك مرتاض، محمد ناصر، أبو العيد دودو و غيرهم).

4-المرحلة الرابعة: 1972-1982:

تميزت هذه المرحلة بتأثير الخطاب السياسي و هيمنته على جل الخطابات، و نتيجة للظروف التي يعيشها المجتمع جعلت الحركة النقدية تتجه نحو المنهج الواقعي (الواقعية الاشتراكية) و هذا لا يعني التخلي عن المناهج الأخرى.

لقد احتدم الصراع في هذه المرحلة بين أنصار القديم و الجديد التوجه الاشتراكي للنظام و معارضوه

من أهم الكتاب الذين جسدوا أفكار المنهج الواقعي (واسيني الأعرج، أمين الزاوي، محمد ساري...)

المرحلة الخامسة: 1983 (النقد الجديد)

تميزت هذه المرحلة ببداية مرحلة نقدية جديدة تزعمها عبد المالك مرتاض الذي تخلى عن أفكاره السابقة و دعا إلى مرحلة جديدة بدءا من كتابه (النص الأدبي من أين وإلى أين) غير أن أفكاره متذبذبة يؤكد مرة بأنه لا وجود للمنهج فنحن أمام اللامنهج و مرّة يدعو إلى التمسك بالمنهج.

ظهرت في هذه الفترة ملامح العديد من المناهج كالمنهج الصحفي و المنهج المقارن و المناهج الحداثية.

**2-مفهوم الشعر بين التيار التقليدي و التجديدي:**

أ-مفهوم الشعر عند التقليديين: هناك آراء مختلفة فبعضهم ركز على كلمة "الوحي" فمحمد الهادي الزاهري يرى أن "الشعر وحي و قبس من نور الإنسانية الضئيل لا ترى علائمه إلّا في نفر هو في أمته كالغريب في دار غربته أو الطائر المغرد في قفص وحشته"

إن الشعر إلهام يصقل بالتجربة؟ و هو كما يرى محمد مندور يقع بين منزلتين (الإلهام و التثقيف) و من ثمة فهناك الشعراء بالطبع و الشعراء بالتطبع أو الشعراء بالموهبة و الاكتساب.

أما إبراهيم أبو اليقظان فيقول "اعلم أن آداب كل أمة مرآتها و مرآة الأدب الشعر، فالشعر هومظهر تظهر فيه مشاعر الأمة و تتجلى فيه أحوالها وتترأى نفسيتها و يعرف به درجة مزاجها العقلي" ثم يراه نورا ينير القلوب كنور المشكاة فيها المصباح، المصباح في زجاجة و هو يستلهم الآيات القرآنية، يرى محمد مصايف أن موقف أي اليقظان من الشعر هو موقف رومانسي محض. فهو يرى أن للشعر قوة هائلة تفعل في الامم و الأفراد ما تفعله قوة البخار و الكهرباء.

أغلب نقاد هذه المرحلة ينظرون إلى الشعر من خلال وظيفته كما نجدهم يخلطون بين (ماهيته و وظيفته).

**ب-مفهوم الشعر عند الاتجاه التجديدي:**

إن المفهوم في هذا الاتجاه مرتبط بالنظرة الغربية فمن الشعراء الذين حملوا لواء التجديد رمضان حمود الذي دعا إلى تأسيس كتابة جديدة لا تلتزم بمراسيم الشعر العربي، فقد رفض المفهوم القائم على الوزن و القافية و هو متأثر بجماعة الديوان وبالأدب الفرنسي.

فقد ثار على التقليديين مبينا و أن الشعر (لا يدرك كنهه إلا من له فكر ثابت و عقل صائب و ذوق سليم) و هذه الأخيرة (الذوق السليم) أشار إلى أهميتها النقد القديم (ابن سلام الجمحي وابن طباطبا و الجرجاني)

إرمضان حمود متأثر بالرومانسية فقد أبرز العلاقة بين الشاعر و المصور بقوله (الشاعر و المصور أجيران للفن و الجمال، و كلاهما مدين بالإجادة و التدقيق في النظر و البحث فهذا في المحسوسات و ذاك في الروحيات فكما أن المصور لا يقدر أن يتقن صورته إلا إذا تزود بجانب وافر من الشعور و الإحاطة، و كأن الشكل أو المنظر الذي يريده أمامه يراه بعيني راسه"

كما يرى بأن الشعر (تيار كهربائي مركزه الروح، و خيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن و لا القافية في ماهيته و غاية أمرهما انهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق و الجمال في التركيب، لا في المعنى كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة و لا ملوحة و إنما حفظا و صيانة من التلاشي و السيلان" و يبقى مفهوم الشعر خاضعا للتغيير من عصر إلى آخر نتيجة التحولات التي يعرفه الفكر عموما

**3-وظيفة الشعر:**

هناك اختلاف في التعامل مع هذه الوظيفة فمن النقاد من ينظر إليها على انها وظيفة جمالية ومنهم من يعتبرها وظيفة اجتماعية، بحيث يصبح الشعر وسيلة مساعدة على الحياة الكريمة (الامتاع و الفائدة).

لقد أخذ مفهوم الشعر في المرحلة الأولى (مرحلة التقليد) طابعا تعليميا بسبب ظروف المجتمع، فعد وسيلة تعليمية تربوية لإيقاظ الهمم و مواجهة الاضطهاد، فعلى حد تعبير محمد الهادي الزاهري فالشاعر يعتبر رسولا في المجتمع ذا رسالة سامية، ذلك ما جعلهم يستخدمون المعاني الدينية استخداما فنيا.

و عموما فإن نظرة النقاد التقليديين إلى وظيفة الشعر لم تكن (نظرة فنية) بقدر ما كانت (نظرة موضوعية) هذا ما جعلهم يغلبون النظرة إلى المضمون على حساب الناحية الجمالية لاقتناعهم بأن الجمال الفني هو جمال المضمون.

أما في المرحلة الثانية (مرحلة التجديد) فقد وسع هذا التيار من وظيفة الشعر لاتصال نقاده بالتيارات الغربية فرمضان حمود يركز على (فكرة التوصيل) فنراه يؤكد بأنه (لا يسمى الشاعر عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة، لا أن يكلمون في القرن العشرين بلغة امرئ القيس و طرفة و المهلهل و الجاهليين الغابرين.

فهو يدعو إلى مخاطية الشعب باللغة التي يفهمها (لغة العصر) و هذا لا يعني قبول العامية بل يعني البساطة (غير المعقدة) و تبقى الوظيفة الشعرية في نظره هي تحريك النفوس العامة و تذكيرها بواجبها المقدس من أجل تحرير الوطن فيما نجد "مبارك جلواح" يرفض أن يكون الشعر صورة للواقع فهو يؤمن بفكرة "الفن للفن" و يصر على أن للشعر وظيفة مثالية.

**4-التجربة النقدية عند عبد المالك مرتاض:**

يعد عبد المالك مرتاض من أكثر النقاد الجزائريين حضورا في الساحة المحلية و العربية فهو يتميز بغزارة انتاجه في مجالات متعددة وتختلف تجربته من مرحلة إلى أخرى من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التنظير.

عالج العديد من القضايا تنظيرا و تطبيقا مبديا رأيه بدقة في مختلف تلك القضايا فقد تعرض بإسهامات إلى مفهوم النقد و أقسامه و المناهج المختلفة في دراسة النصوص

ماهية النقد:

يرى مرتاض أن "النقد في مدلوله العالي إبداع فني ثان، و أي نقد لا يرقى إلى هذه المكانة فهو مجرد لغو و محض باطل و فضول"

و يبقى النقد و الأدب عند مرتاض كما يرى الباحث علي خفيف وجهين لعملة واحدة فهما متكاملان، ذلك ما يشير إليه مرتاض بقوله "فلا يستطيع النقد الحق إلا أن يكون مكملا للإبداع، أي مجرد وجه من وجوهه، يماشيه طورا، و يجاوزه طورا آخر، و لكن يظل دائرا في فلكه أبدا

فالنقد عنده ليس فلسفة خالصة و لا فنا خالصا و لا حتى إبداعا خالصا و إنما هو (نقد خالص فقط) و من ثمة فالنقد عليه الابتعاد عن الوصية الأبوية ذلك لأن (الناقد ليس قاضيا صارما يصدر أحكامه بالإعدام طورا و بالمؤبد طورا آخر على الإبداع).

لهذا رفض مرتاض النقد الإيديولوجي لأن الناقد قد يضيف أشياء جديدة

أقســـــام النقـــــــد:

يرى مرتاض أن النقد نقدان: نظري و تطبيقي يضاف إليهما نقد ثالث هو "نقد النقد" فهو يرى أن النقد النظري يبحث في أصول النظريات، يقارن و يناقش و لا يهم أن تدرس هذه المسائل ضمن عناوين مختلفة مثل: نظرية الأدب، الأدب المقارن، نظرية الاجناس الأدبية...

أما النقد التطبيقي فيأتي بإحدى ثمرات النقد النظري فهو "يرى أن غاية النقد في الحالتين يمثل الاهتداء إلى حقيقة النص بتعبير فلسفي أو فهمه بتعبير الهرمينوطيقا الغادميرية أو تفسيره بمصطلح الدينيني أو علاقة الدال بالمدلول بمصطلح البنيويين أو الكشف عن نظام الإشارة فيه بتعبير السميوتيكين أو تفكيكه و تشريحه على طريقة التفكيكيين"

أما نقد النقد La méta critique critique de la critique:

فهو يسهم بالتعقيب على نقد ما كتب من (قبل ظاهرة أو نظرية أو نص)

المناهج النقدية:

هناك مناهج متعددة سياقية و نصية منها ما يركز على بنية النص و منها ما يعتمد على المرجع الخارجي.

لقد تطور مرتاض في مقارباته تطورا كبيرا فقد "غير جلدته المنهجية باستمرار" تخلى عن أفكاره السابقة بعد الاحتكاك بالنظريات الغربية نجده يتنصل من كل المناهج في كتابه " النص الأدبي من أين و إلى أين" فهو يدعو إلى الثورة على المناهج إذ يرثى لحال الجامعيين الذين لا يزالون يحنون إلى (تين، بوف، لانسون) فهي مناهج قاصرة انطباعية قحة ثم يرفع دعوة عالية (لنكن ما نشاء في منهجنا و لكن لا نكون فقط تقليديين)

إن مرتاض لم يصمد كثيرا أمام فكره المنهج اللامنهج وجاء بمنهج جديد هو خليط سماه المنهج المستوياتي (دراسة مستويات عدة) و عموما فقد عرفت التجربة المرتاضية تطورا كبيرا ذلك لكون الناقد يتميز بالقدرة على التطور.

**النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي د/ محمد مصايف**

ظهرت في الجزائر صحف كثيرة و مجلات أسهمت كلها في نشر الفنون الأدبية بما فيها النقد و من أهمها قبل الاستقلال: (المنتقد، الشهاب و البصائر) التي خدمت الأدب و النقد و الثقافة بقدر ما خدمت الإصلاح. و من أبرز كتابها (محمد البشير الإبراهيمي، أحمد رضا حوحو، عبد الوهاب بن منصور، أبو القاسم سعد الله و غيرهم).

كما ظهر في المغرب الأقصى عدد من المجلات و الصحف اليومية التي كانت تتنافس في تقديم الآثار الأدبية و لا سيما القديمة (الأندلسية) كما كانت تشارك في دراسة الأدب العربي الحديث من أهم كتابها "عبد الله كنون".

أما في تونس فقد عرفت هي الأخرى العديد من المجلات و الدوريات مثل:(العالم الادبي، الزمان، النهضة، الفكر.....) فقد ساهمت هذه الدوريات في نشر الأدب و النقد و الثقاافة و لاسيما مجلة الفكر.

غير أن هذه المجلات تتحول في الغالب بعد مدّة إلى اخبارية أو سياسية

**محتويات الكتاب:**

مدخل في المؤشرات الأساسية للاتجاه التقليدي

ف (1): الشعر من وجهة النظر التقليدية

ف (2): سمات الاتجاه التقليدي

الباب الثاني: في الاتجاه التأثري

ف (1): الدعوة إلى أدب جديد

ف (2): طبيعة الأدب الجديد

ف (3): وسائل التعبير الشعري

ف (4): التعبير في القصة و المسرحية

الباب الثالث: في الاتجاه الواقعي

ف (1): الأدب بين الحرية و الالتزام

ف (2): طبيعة الأدب الواقعي

ف (3): التعبير في الشعر الجديد

ف (4): التعبير في الفنون النثرية

ف (5): سمات الاتجاه الواقعي

**الخاتمة:**

إن النقد المغربي الحديث هو امتداد طبيعي للنقد في المشرق العربي، و قد اتضحت هذه الصلة الوثيقة بين حركتي النقد العربي عند معالجة الاتجاهين التقليدي و التأثري فالنقاد الثأثريون قد تابعوا المعارك الأدبية التي قامت بين التقليديين و المجددين في المشرق العربي، كما ألحّ النقاد و معهم الواقعيون على مبدأ الحرية في الأدب

فنقاد هذا الجيل يقدسون التراث و قلما ينفتحون على الأخر بسبب النظرة الاصلاحية التي ظهرت في المشرق قبل المغرب العربي بسنوات

**مؤلفات محمد مصايف:**

* جماعة الديوان في النقد
* فصول في النقد الجزائري الحديث
* في الثورة و التعريب
* دراسات في النقد و الأدب
* الرواية الجزائرية بين الواقعية و الالتزام

**المراجـــــــع:**

1-تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية الجزء الثاني، جمع و إعداد: د. مولود عويمر، منشورات دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011

2-النقد الأدبي في المغرب العربي د. محمد مصايف، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1979

3-النقد الأدبي الجزائري الحديث، عمار بن زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990

4-نقد الشعر مقاربة لأوليات النقد الجزائري الحديث، د. علي خذري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1998

5-ملتقى إشكاليات في الأدب الجزائري أيام 26-28 أفريل 2005، جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر

6-أعمال الملتقى الوطني الثاني، الأدب الجزائري في ميزان النقد (أيام 10-11-12 ماي 1993) منشورات معهد اللغة و الأدب العربي جامعة عنابة- الجزائر

7-كتب و محاضرات في الميزان شريبط أحمد شريبط